ڤلاديمير تماري يتذكر صديقه هاني جوهرية

رسمة بقلم ڤلاديمير لهاني بتاريخ ٣ نيسان ١٩٦٥
في احدى الجلسات اما في رام الله ام في القدس
. قلم رصاص و الوان على ورق.

مضـــت

أربعون سنة على

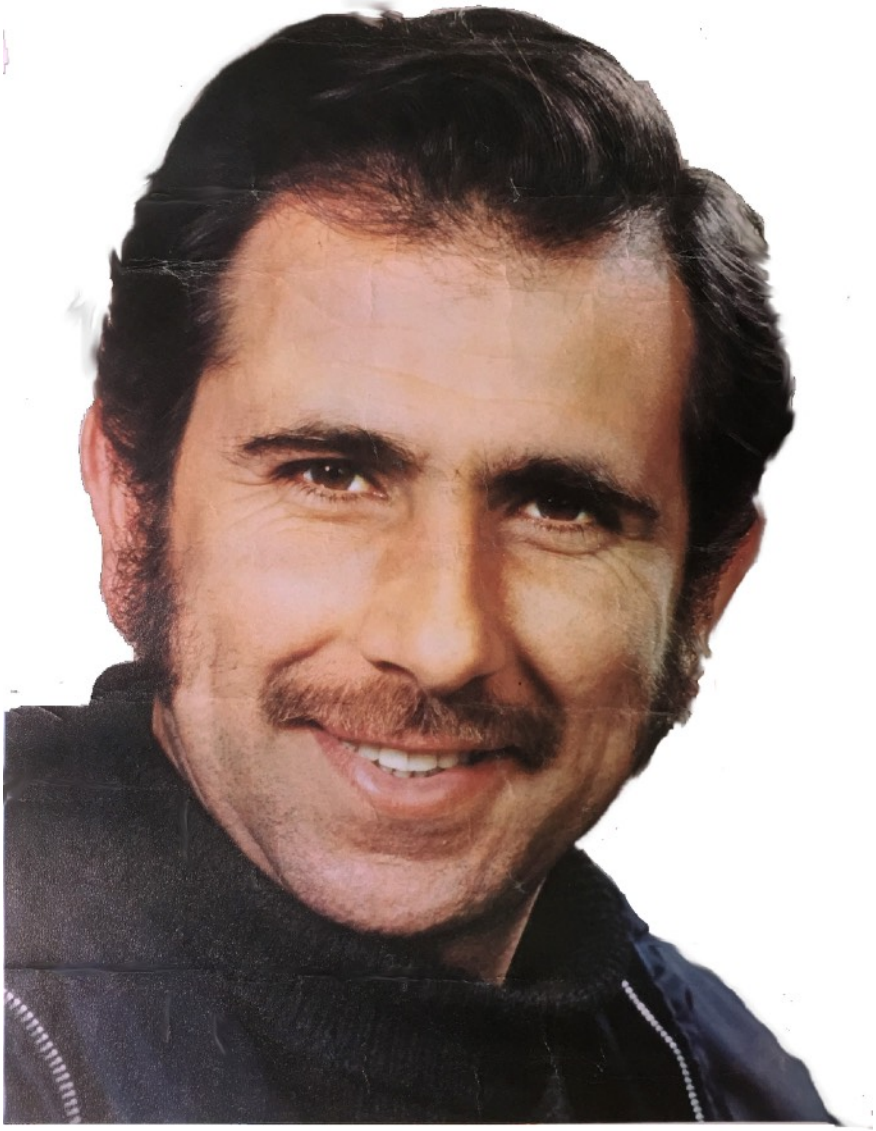

الشَهيد هَاني جَوهريَة - شَهيدُ السِينما النضَاليَة

ملصق أصدرته منظمة التحرير الفلسطينية حوالي عام ١٩٧٦

استشهاده و قبل ذلك منها حوالي عشرون سنة لصداقة بدأت في أيام طفولتنا في الخمسينات هناك في القدس العربية حيث استنشقنا هواءها بغفلة تامّة عن اننا سنفقدها بعد سنوات معدودة. ها هي لقطات سريعة بالكلمات عن هاني أقدمها دون اعتذار إذ أنها قد تبدو للبعض مناقضة لأسطورة البطولة و المثالية التي خصها به زملاءه في الثورة - و عن جدارة - عقب استشهاده. نعم لقد أصبح هاني بطلاً حقيقياً و لكنني عرفته قبل ذلك انساناً رائعاً عادياً و فائق العادية ان صح التعبير و لا أريد ان افقد هذا الهاني الصديق و الأخ الحميم.

تعرفت على هاني بداية من خلال صداقة مشتركة مع سمير فرح زميلي في المدرسة . سمير ذلك المخرج المسرحي و السينمائي الفذ الذي اشتركت في

تمثيل بعض أفلامه الفكاهية والتي قام بتصويرها هاني على ما اذكر بكاميرة ٨ مم في منزله بالقدس. افلام ساخرة احدها حول جرّاح ينفذ عملياته بأدوات النجارة. و توسعت تلك الصداقة لتتمركز على "أشاوس" الفن الأربعة هاني (تصوير فوتوغرافي و سينما) كمال بُلاَّطة و كاتب هذه السطور (رسم و فن) و ابراهيم صوص (بيانو و تأليف موسيقي). اعتقد ان سمير في تلك الفتره سافر لاكمال دراسته في نيويورك وبعد عودته التقينا مجدداً في الجامعة الأمريكية في بيروت قبل وفاته التراجيدية في اوائل الستينات.

رسمة لكمال بُلاَّطه لأحد شوارع القدس القديمة. أواخر الخمسينات

اثناء المشاوير التي كنا نقوم بها في شوارع القدس القديمة و زيارات الأهل نمَت بيننا نحن الشباب الأربعة صداقة حميمة أخوية• كننا ننكّت و نضحك و كأننا بذلك نحاول محو جو الإنكسار و الخيبة ، و كيف لا وها هي القدس مدينة جزَّءها الاحتلال تخترقها أرض حرام ملغومة، نستشعر عِبرها فلسطين المنهوبة التي ظلت تعيش في نظرنا و في مخيلتنا، تعج بالقصص التي سمعناها من آباؤنا عن فلسطين ما قبل النكبة بل و ما خبرناه في أولى ذكرياتنا الطفولية في يافا و في القدس و لا أدري أية مدن أخرى بالنسبة لغيرنا. تبادلنا الزيارات و أحبه والديَّ و أختيَّ. في بيته، تعرفت على أخيه الأصغر الفنان و الخطاط

رياض و على والده و خالته و على عمه الرائع الموسيقار و المدوّن واصف جوهرية. كما اذكر ان لهم قرابة للموسيقار الفلسطيني الشهير سلفدور عرنيطة و الذي حضرت دروسه في الجامعة رحمهم الله.

أحلى ما تبقى لي من هاني عينيه بنظرته الثاقبة الضاحكة الحنونة. لم يكن متهوراً في أي شيء و لعل تواضعه و تماديه في اتقان تفاصيل أي عمل يقوم به كانت من اجمل صفاته. في تركيز الكاميرة مثلاً و طباعة الصور، في حديثه و تعامله مع الناس بانسانية صادقة خالية من اي انانية ام خبث قلما خبرتها. أثر استشهاد هاني كتبت نصاً لا يبقى منه الا لمحة لمشهد واصفاً فيه يد هاني تتناول بيضة من قفص للدجاج خلف بيته في شعفاط قرب مصنع "الكازوز". كتبت كيف ان البيضة ذات البياض الناصع استقرت في يده و كأنه يحرسها. أحبه الجميع و ما زالوا.

ايليا ادرنلي امام محله عام ١٩٥٢ قبل ان يعمل هاني هناك و قبل عرض تمثال غاندي.

عمل هاني لفترة طويلة ربما لسنوات كمساعد للنظّاراتي إيليا الأدرنلي في محله في القدس القديمة الواقع في الزاوية عند تقاطع الدرجات المنبثقة يميناً من شارع خان الزيت مع الشارع المؤدي إلى حارة النصارى و كنيسة القيامة. محلٌ صغير في واجهته تمثال أبيض لرأس ماهاتما غاندي لابساً النظارات الشهيرة بالطبع. السيد أدرنلي انسان ذو شخصية شيّقة فائق الذكاء حلو الابتسامة له نظرية في أثر دوران الأرض على الرياح طالما تناقشنا حولها، وفي غربتنا عن القدس طالما تحدثنا عنه هاني و أنا متذكرين ذلك الانسان الرائع.

رسمة بقلم كمال بُلاَّطه لهاني في القدس حوالي منتصف الستينات.

إثر سفر سمير فرح لدراسة السينما في نيويورك استمر هاني بالإهتمام بالتصوير السينمائي. اصابتني العدوى انا أيضاً و امضينا أوقات ممتعة نناقش الأفلام التي كنا نشاهدها في دور السينما في القدس. لا أدري كيف تعرفنا على نظريات المخرج السوڤياتي آيزنشتاين فصرنا نحلل ما قاله عن التكوين القُطري بزاوية ٤٥ درجة للصورة. ومع انهماكنا في الامور الجادة لم نكف عن التنكيت و الضحك فصرنا نردد مقولة ليوسف وهبة في أحد الأفلام - "شرف البنت متل عود الكبريت"... وللصدفة الطريفة شاهدت قبل أيام فيلماً أمريكياً قديماً فإذ بنفس الجملة تردد فيه!

من أحد نشاطاتنا كان تصوير فيلم هزلي قصير عَكس حالة الكبت التي عمّت مجتمعنا المحافظ المنافق الى حد ما والذي لم يتح لنا كثير من الفرص للتعبير والخلق والابداع بحرية. اعتقد انني كنت الذي وضع السيناريو لهذا الفيلم: هاني يقرأ الجريدة فإذ بالصورة على صفحة الجريدة تتحول الى مشهد خلاعي

رسمة لهاني بقلم ڤلاديمير حوالي
منتصف الستينات

يتحرك بين سطور الأنباء،
فيصاب القارىء بالدهشة و
الهلع! و في أوائل
الستينات، حينما كان اهتمام
وساءل الإعلام الأمريكية
مركز على إرسال إنسان الى
القمر، وبينما كنا نحن في
عالمنا العربي نستمع الى
خطابات عبد الناصر و نعيش
واقعاً مختلفاً تماماً يحاكي
همومنا وآمالنا الوطنية، في
هذه الاجواء قمنا هاني و أنا
بتسجيل شريط صوتي ساخر
بلكنة عربية-أمريكية عجيبة
على غرار مقابلات كنا
نسمعها من راديو صوت
أمريكا، نناقش به موضوع إرسال القمامة الى القمر!

اختلطت تعابيرنا الساخرة و مشاكل المراهقة العادية باحساسنا المرهف ووعينا العميق بجمال فلسطين التي عشناها وبالاخص القدس بتاريخها، كنائسها و جوامعها، روعة المسجد الأقصى و تقوى كل من حج إليها. في ذلك الوقت حلمنا هاني وأنا في إنتاج فيلم عن القدس. للأسف لم يبقى من ذلك المشروع الا رسمة لي لعتّال يحمل الواحاً من الخشب على ظهره، ينحل الحبل لتلتف الأَلواح على ظهره و للحظة عابرة يتحول العتال ذلك الإنسان البسيط الى صورة المسيح حاملاً عذاب الناس، فالخشبتين صارتا بشكل صليب. كان ذلك قبل حرب ١٩٦٧ و قبل لوحة اسماعيل شموط "فلسطين على الصليب" وقبل قول محمود

درويش في قصيدة له بعنوان: «كتابة بالفحم المحترق»: "ولكني خارج من مسامير هذا الصليب لأبحث عن مصدر آخر للبروق" وقبل لوحة الزميل سليمان منصور الرائعة "جمل المحامل" و كأننا جميعنا في أواقت مختلفة وعينا ان عيسى ابن مريم الفلسطيني المولد و صلبه و قيامته في ومن القدس هو رمز لشقاء البشرية و لانتصارها على ذلك الظلم في قيامته من الموت حسب اعتقادنا نحن معشر النصارى.

ساعدني هاني في تصوير فيلم آخر كان عبارة عن تجسيد لفكرة لي بعمل "موسيقى منظورة": ألوان و اشكال تتلاعب على الشاشة لتواكب ايقاع موسيقى براندنبورج لباخ. اخذت المشروع بمقام الجد و حصلت على نوتات الموسيقى و لكن امكانياتنا من أدوات لتنسيق تزامن وتواكب حركة النوطات الموسيقية مع الألوان المختلفة - كل نوطة للون معين – للاسف كانت دون الامكانييات المطلوبة ولم تكن كافية لإتمام المشروع كما تصورت. و في أحد الايام أطلعت هاني على تركيبة من الكرتون و البلاستيك و الخيوط صنعتها و رسمت عليها خطوط لشرح فكرة اختراعي "الرسم المجسَّم". فابتسم هاني و نظر الي معاتباً و قال "حرام عليك تبقى في هذا البلد". أذكر الآن بمرارة ان الشركات اليابانية التي عرضت عليها هذا المشروع لاحقاً قالوا لي نفس الشيء تقريباً:" خذ هذا الإختراع لأمريكا!" بمعنى أنه اذا نجح هناك ينقلوه! لم يهمني ذلك و في اليابان صنعت أجهزة كثيرة رسمت بها كما أردت. و لكن فاتتني الفرصة لأن جيل الكمبيوتر لحق بي و صار الرسم المجسّم الرقمي3D شيء يتداوله الجميع، لكن ليس كما تصورت وخططت له.

عندما سمعت كيوكو بأن أخي العزيز رياض طلب مني كتابة هذه الذكريات قالت لي: "أتذكرأن هاني كان ضد زواجك من اجنبية غير عربية و لكنه عندما التقى بنا و رأى انسجامنا و محبتنا معاً غيّر رأيه !" تمر السنين و يسافر هاني إلى مصر وبريطانيا للتخصص بالتصوير السينمائي.

صادف وقوع حرب ١٩٦٧ وجودي في بيروت حيث كنت أعمل في قسم الوسائل السمعية البصرية التابع للأنروا كمساعد فني. كانت تلك الحرب و احتلال القدس صدمة كبيرة. في نهاية ذلك العام تزوجت كيوكو الإنسانة اليابانية الرائعة التي جاءت من طوكيو لبيروت رغم أجواء الحرب. بعدها سافرت إلى الأردن مع بعثة التصوير التابعة للأنروا لتسجيل مآسي الحرب و أثرها على مئات آلاف النازحين من فلسطين إلى مخيمات في الصحراء الاردنية مثل البقعة ووادي ضليل. و سرعان ما وجدت تناقضات القسم الذي أخرج أفلام تصور اللاجئين كمحتاجين مساكين بغض النظر عن الخلفيات السياسة والوطنية لتلك الحرب و عن ردود الفعل الثورية التي بدأت في حينه. فاستقلت من عملي و كان قراري حاسماً ومفاجئاً . على صعيد آخر وفي نفس الفترة، ساعدت المثّالة و المناضلة منى سعودي في إخراج كتاب للرسوم التي رسمها أطفال مخيم البقعة والتي تعبر عن قصص نزوحهم تحت قنابل إسرائيل ثم شروع العمليات الفدائية المقاومة. سافرت مرة ثانية لزيارة المخيم بصحبة هاني لتصوير فيلم وثائقي عن الأطفال. كان الموسم شتاء و البرد قارص و كانوا يرددون، "قتلتنا الصقعة في البقعة!" أتذكر انه بينما كنت أسير في المخيم مع هاني ضاع حذاءي في الطين العميق المحيط بالخيام!

في مناسبة أخرى تمتعت بزيارة بيت هاني الصغير الرحب في عمان ولكن للأسف لم نتمكن من إتمام فيلم الأطفال وقتذاك لكنني اشرفت على إصدار كتاب منى السعودي حول رسوم الأطفال الذي احتوى أيضاً بعض اللقطات الفوتوغرافية لهاني. علمت لاحقا ان هاني انجز الفيلم بعنوان "الحق الفلسطيني: شهادة الأطفال في زمن الحرب" عام ١٩٧٢. و لكن على الأرجح أن الفيلم ضاع وقت الإجتياح الإسرائيلي لبيروت سنة ١٩٨٢حيث أن هِبة إبنة هاني قامت بالبحث عن أرشيف الصور و الأفلام لمنظمة التحرير الذي كان هاني من انشط مؤسسيه و القيّمين عليه و لكن و للأسف لم تعثر على شيء.

عقب تركي وظيفة الأنروا عام ١٩٦٨ كتبت نصّاً مفصلاً بالانكليزية حول تصوراتي و آمالي حول انشاء سينما فلسطينية تقدم قضيتنا للعالم. نسخت كل ما في أرشيف الأنروا من خامة أفلام عن القدس و رغم قلة خبرتي، أنجزت فيلماً وثائقياً أسميته القدس Al-Quds سُرد بالانجليزية و وزّع عالمياً حاز على إعجاب غسان كنفاني و جبرا ابراهيم جبرا بالرغم من نواقصه الكثيرة- لأنه كان من أوائل الأفلام الفلسطينية التي انجزت بعد نكسة ١٩٦٧ .أخذت هذا الفيلم لعمان و عرضته في قسم السينما التابع لوزارة الإعلام الأردنية بإشراف علي صيام حيث كان هاني يعمل على انتاج الجريدة السينمائية و شاهدناه ثلاث مرَّات متتالية. و بعد انطلاق الثورة قام هاني و مصطفى أبو علي و زميلتهم المصوّرة سلافة جاد الله بإنشاء قسم التصوير و السينما لمنظمة فتح. شاهدت فيلم القدس مؤخراً على اليوتيوب و خجلت من مستواه الفني البدائي!

عام ١٩٧٠ كانت الحرب الأهلية المؤسفة في الأردن قد بدأت، لكن كان علي زيارة عمان لوداع أهلي قبيل هجرتي إلى اليابان. استضافنا هاني و زوجته هند في بيتهما في عمان و إذ بمعركة ضارية تندلع بين قوات المقاومة و الجيش الاردني و تبادل غزير لاطلاق النار. لم يمكننا الرجوع فأمضينا الليل هناك نسمع و نشاهد الرصاص يترك خطوطاً مرسومة في الفضاء بين الجبل المجاور و مكان وراء حي هاني. في تلك الأجواء كان هاني يروّح عن نفوسنا ويقول "بسيطة ! بسيطة !" لكن في الصباح التالي اعترف لنا هاني بأن الرصاص كان قد اقترب علينا بخطورة.

ودعت الأهل و الأصدقاء و سافرت مع كيوكو إلى عالم آخر. حملنا رسوم الأطفال و أقمنا المعارض و المقابلات في الراديو و التلفزيون لشرح قضيتنا في اليابان. كنا نسكن بيتاً ضيقاً في طوكيو يعج بما يلزم عائلتي الصغيرة، زوجتي و ابنتين بالإضافة الى ادوات الرسم و اجهزة الرسم بالابعاد الثلاثة التي

اخترعتها و صنعتها بيدي. في أحد الايام وصلتني بالبريد مجلة ارسلتها لي منى السعودي دون رسالة او تعليق. كانت "فلسطين الثورة" المجلة الرسمية لمنظمة التحرير الفلسطينية بتاريخ ١٨ نيسان ١٩٧٦ و على غلافها صورة هاني بعنوان "الكاميرا المقاتلة". رائع! و لكن بعد تصفح المجلة و قراءة المقالات واحدة تلو الأخرى تتحدث عن هاني بخشوع و تقدير، رويداً رويداً اتضحت القصّة: هاني التحق بالعمل الفدائي. ترك عمله كصاحب محل للتصوير وبيته الذي احبه في عمان فيه زوجته و طفليه هبة و فخري و اتجه الى بيروت حيث عمل في قسم السينما التابع لمنظمة تحرير فلسطين و في ١١ نيسان ١٩٧٦ استشهد... أذكر اللحظة التي استوعبت ما حدث. لحظة قاتمة صامتة اتذكرها الى اليوم. و بعد ذلك جاء الغضب الشديد. لا أدري لماذا حولت ذلك الغضب نحو تلك الألعاب

مجلة فلسطين الثورة بتاريخ ١٨ نيسان ١٩٦٧التي نعت هاني و بها مقالات كثيرة صادقة و مؤثرة لزوجته و زملاءة في الثورة.

التي الهيت نفسي بها في المنفى بينما كان هاني يعيش و يموت على أراضي الأوطان: حطمت ثلاثة من ادوات الرسم ثلاثي الأبعاد الخشبية التي بنيتها بكل تأني و محبَّة وقذفت بها في القمامة!

مع الايام هدأت مشاعري وعملت رسمة ثلاثية الابعاد عنوانها "طبيعة صامتة فلسطينية" توسطتها مجلة فلسطين الثورة وهاني وكاميرته على غلافها، تجمَّع حولها كل ما كان في بيتنا من كنوز من فلسطين ... جِمال منحوتة من خشب الزيتون و طبق مزين مصنوع من القش و ثوب فلسطيني مطرّز.

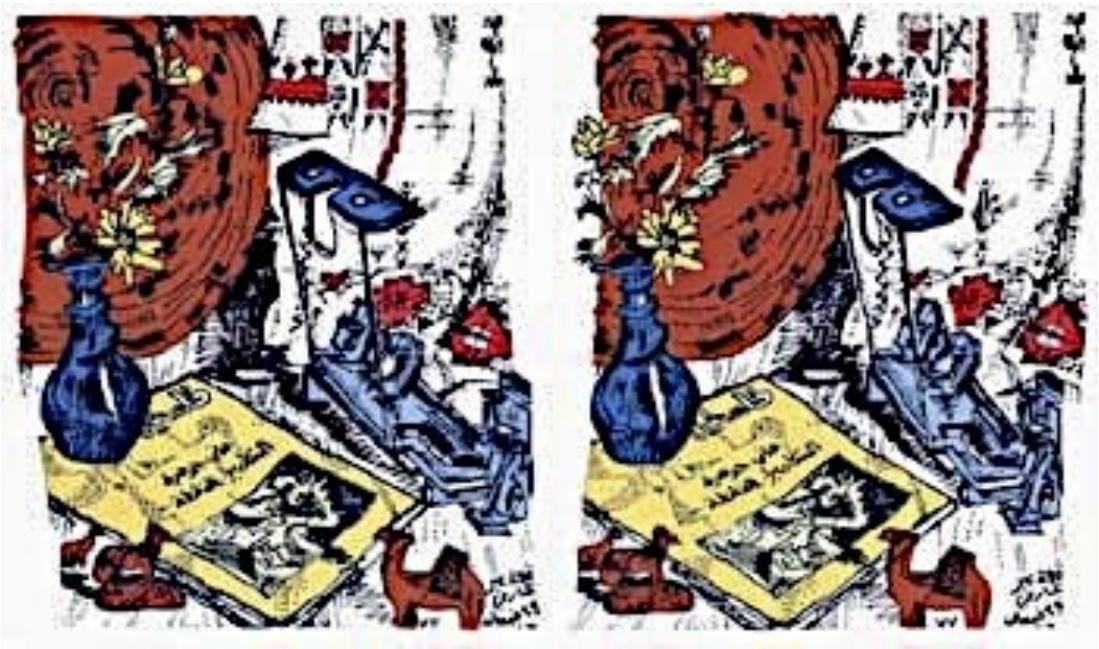

رسمة"طبيعة صامته فلسطينية" لڤلاديمير تماري أنجزها في ٢٩ نيسان ١٩٧٧مستخدما جهاز الرسم بالابعاد الثلاثة. تظهر فقط عند دمج الصورتين بجهاز ستيريوسكوب.

بعد ذلك ام قبل ذلك بأشهر - لا اذكر - سافرت مع كيوكو و البنات الصغيرات إلى الأردن بنية زيارة صيفية لرام الله بواسطة تصريح يمنح للزيارات الصيفيه والذي حصل عليه والدي رحمه الله من سلطات الإحتلال . على أنه على الجسر (جسر ألنبي) تم اعتقالي ونقلوني إلى القدس مكبلاً معصوب العينين في سيارة

عسكرية اسرائيلية . وفي السجن تسلقت للنظر من نافذة ضيقة أعلى الزنزانة لأرى قدسنا الحبيبة لأول مرة بعد سنوات طويلة في المنفى- القدس التي كنا نتجول فيها أنا و هاني والأهل والأصدقاء بكل حرية دون فكر أو قلق. رأيت القدس بقببها و مآذنها و كنائسها سابحة في ضوء الفجر الوردي الجميل.
سألوني عن نشاطي في مشروع رسوم الأطفال و ما إلى ذلك. و بعد ثلاث أيام تم أطلاق سراحي و ذهبت إلى رام الله و بيت الطفولة في زيارة ثلاث أشهر رفضوا تمديدها. وعدنا إلى طوكيو. أذكر أن هند زوجة هاني وابنته هبة زارونا في رام الله، و كانت هبة تعاني من ألم في ضرسها. لاأذكر كيف كان حديثنا عن هاني... ولكني تذكرت وقتها ما قال لي هاني يوماً ان النظر الى طفلته هو اجمل شيء خبره في حياته. و كنت قد تذكرت كلماته أيضاً عندما نظرت الى ابنتي مريم حين ولدت في اليابان.

تمر السنوات و العقود والقرن والألفية...اتصال قليل بعد ذلك مع أهل هاني. فلسطين بأسرها تزرح تحت احتلال مقيت. المصائب تتوالى على شعبها المناضل...لكن الوطن الذي عاش به هاني و نعمت بصداقته فيه ما زال حي في وجداننا. الطفل الفلسطيني الذي قد يكون ولد لأبوين لم يطئا أرض الوطن يحلم بالتحرير والرجوع. بعد استشهاد هاني سميت الشوارع و قاعات السينما باسمه. جميل. لكنني اتخيله كيف كان سيضحك طويلاً وهو المتواضع أبداً، لو علم كيف انتهت مهزلة الحياة و التاريخ و كيف ضاع و أهين وطن بأكمله لكننا نتفاخر بشارع و دار سينما. رحمك الله يا هاني كنت خير شباب البلد و لن تنساك فلسطين طالما تنمو أجيال جديدة من السينمائيين الفلسطينيين...كلهم يعرفوا إنجازك العظيم و قصة تضحيتك الكبرى. لا يسعني الا أن أتذكر ما قاله المسيح بشأن الفداء ... كلمات تنطبق على جميع من ضحوا بحياتهم لوطنهم ووطننا فلسطين:
« أَحِبُّوا بَعْضُكُم بَعْضاً. لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هذَا: أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ. »(إنجيل يوحنا١٥: ١٢-١٣)

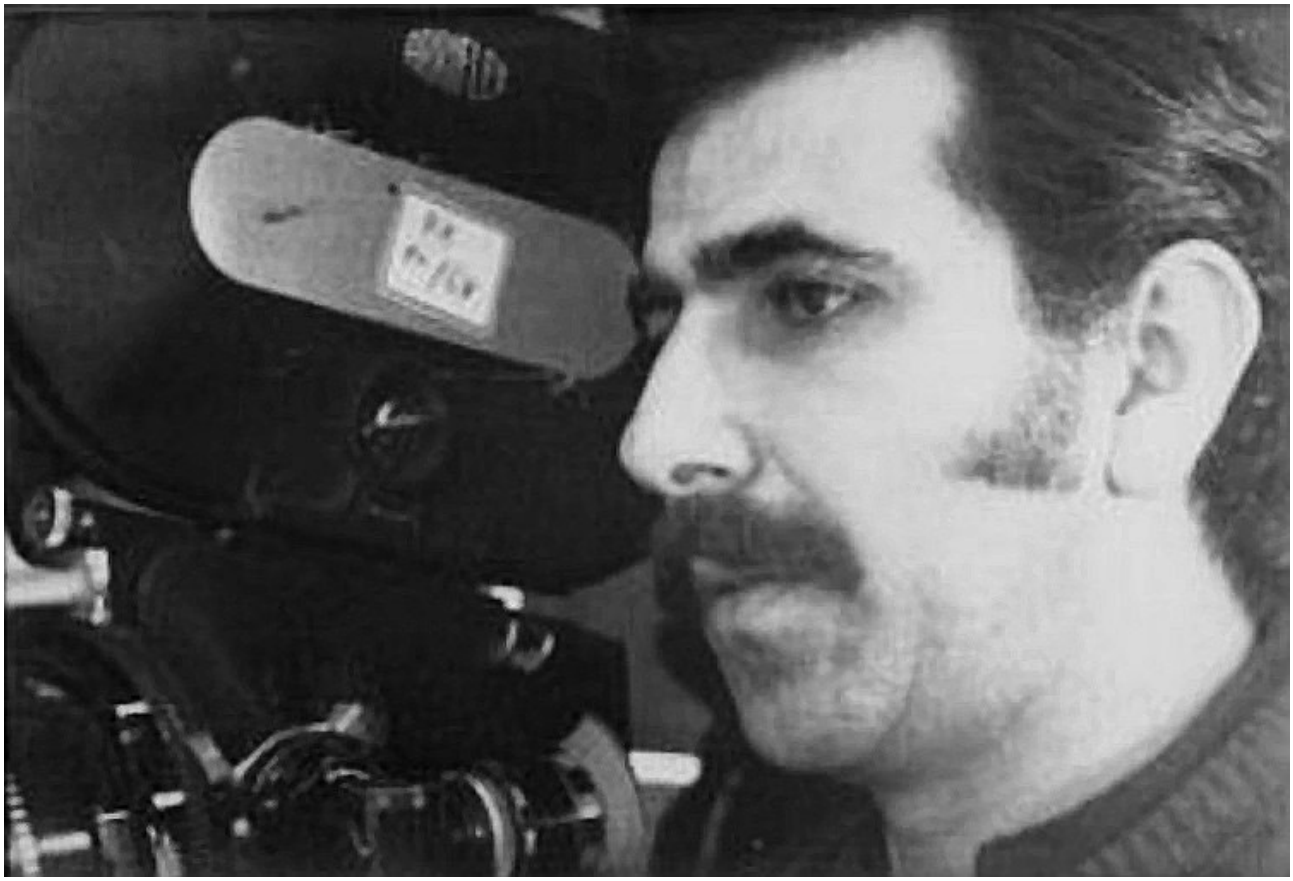

هاني مع كاميرته من طراز Arriflex 16 mm في مركز التصوير و السينما التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية حوالي سنة ١٩٧١

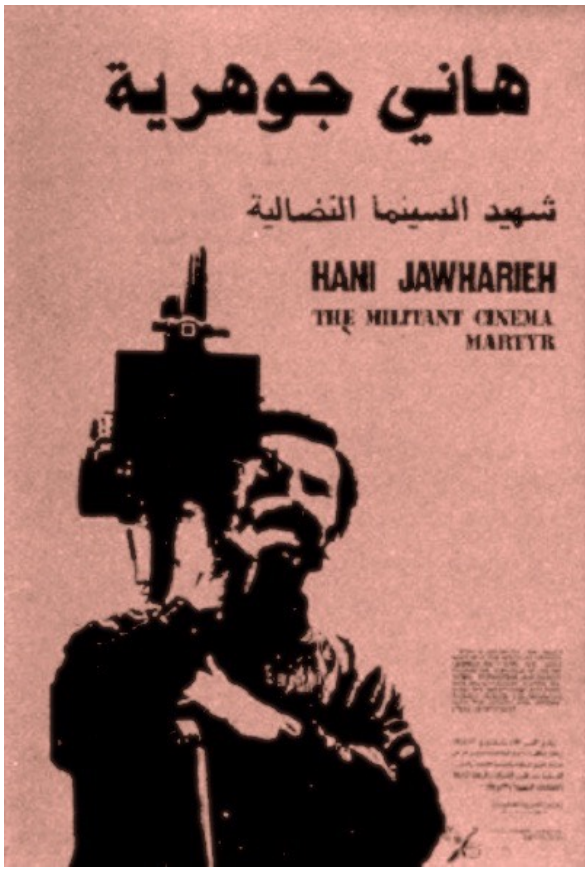

بعد استشهاده قام قسم السينما في الثورة الفلسطينية بإصدار ملف من ١٨ ملصق من الصور التي التقتها هاني للمناضلين و المناضلات في معسكرات التدريب و خلال العمليات الفدائية عبر نهر الأردن التي صاحبها بكاميراته لتوثيق ما يجري من مقاومة بطولية للأحتلال الإسرائيلي لفلسطين.

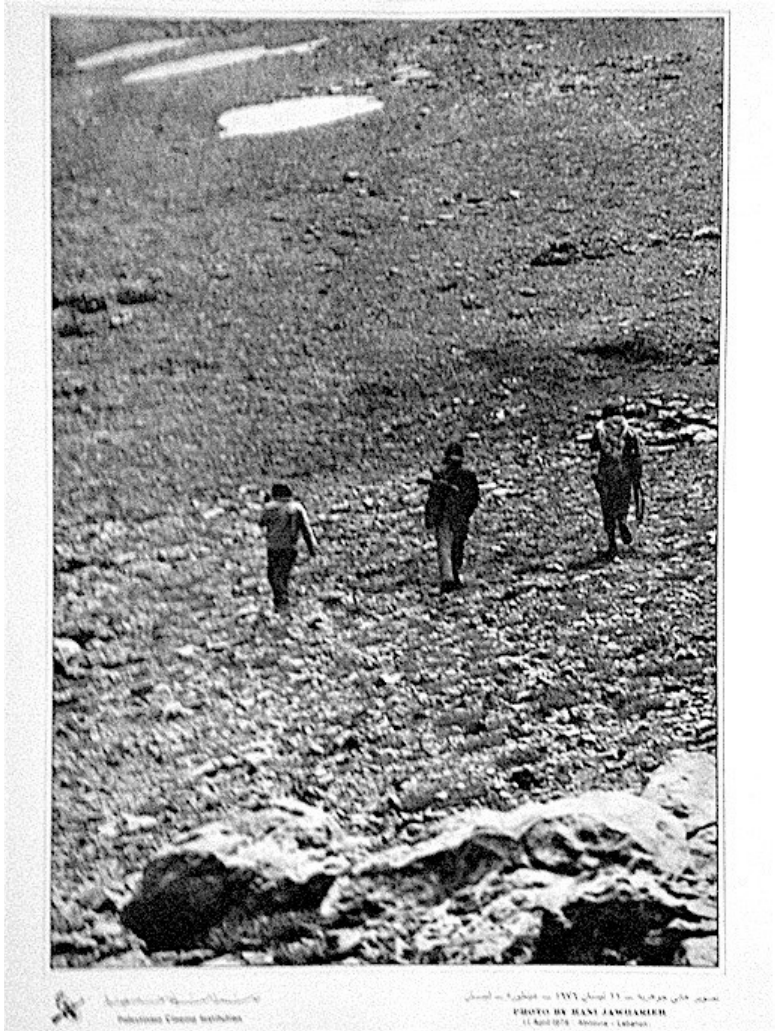

Palestinian Cinema Institution

PHOTO BY HANI JAWHARIEH

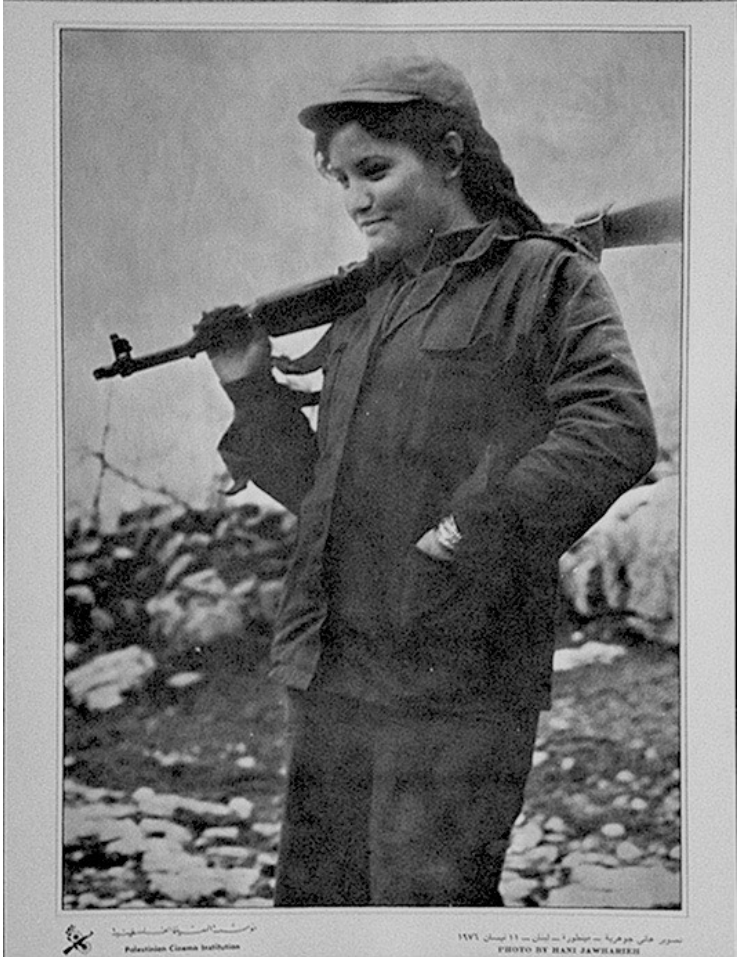

Palestinian Cinema Institution

PHOTO BY HANI JAWHARIEH

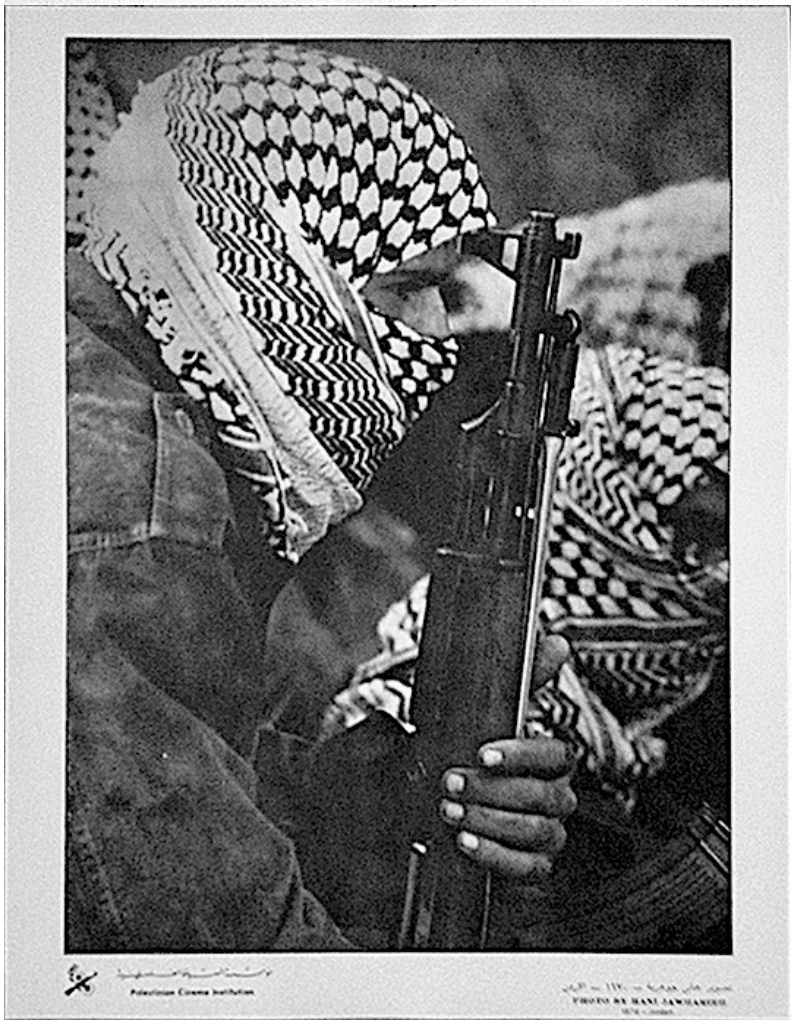

Palestinian Cinema Institution

PHOTO BY HANI JAWHARIEH

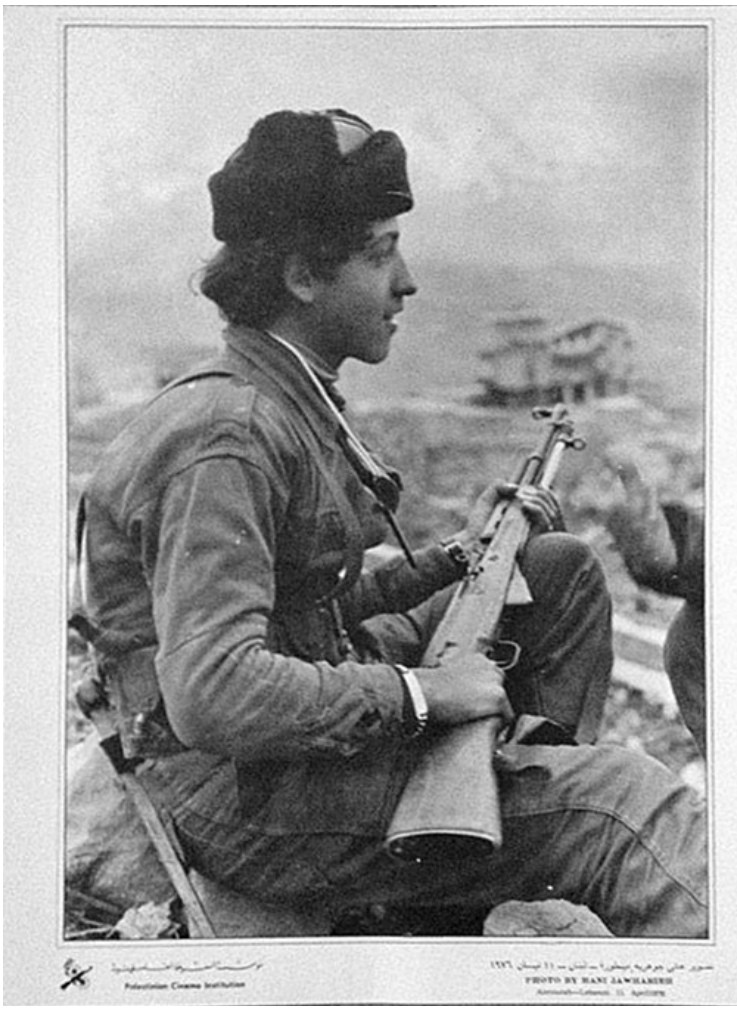

Palestinian Cinema Institution

PHOTO BY HANI JAWHARIEH

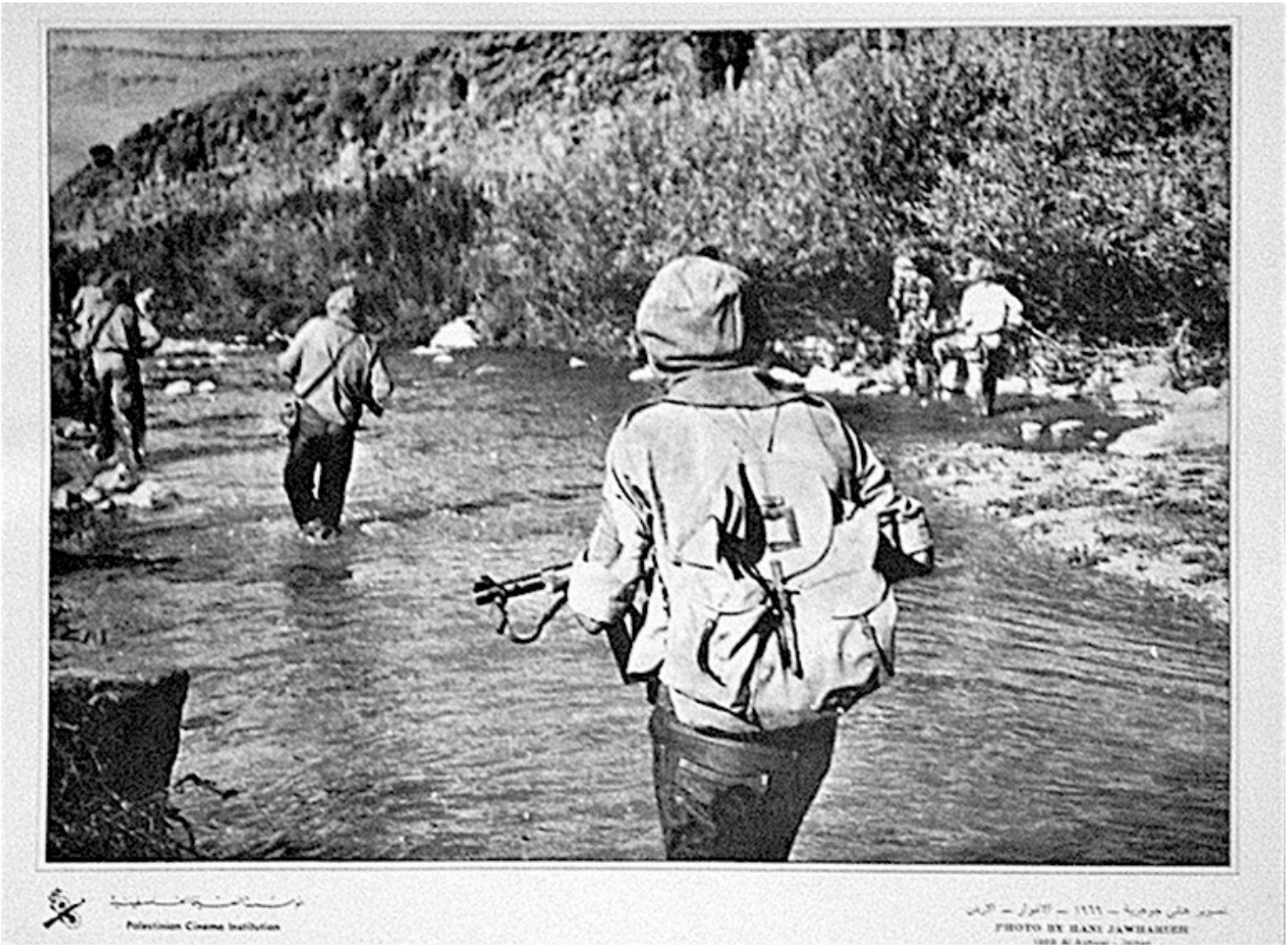

حقوق النشر لڤلاديمير تماري vladimirtamari.com

طوكيو ٣٠ تموز ٢٠١٦ المقالة مكتوبة بخط القدس AlQuds font و هو مشروع بدأته في القدس وشرحته لهاني حينذاك. الملصقات المنشورة هنا متواجدة في أرشيف الملصقات الفلسطينية هنا: palestineposterproject.org